تكريم النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم

أ.م.د. يقظان سامي محمد

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Veneration of the Prophet Mohammed (PBUH) in the Holy Quran

Asst. Prof. Dr. Yakdan Sami Mohammed

University of Babylon / College of Quranic Studies

Abstract

Praise be to Allah, Who never prays to one another and prays to His Prophet and His Savior, Muhammad , the Seal of the Prophets and the Imam of the Innocents, as the number of atoms of soil and stars of heaven. To follow him who wanted to fine. May Allah have mercy on him, the master of mankind Muhammad bin Abdullah peace be upon him and his family, and make him a good place in the earth and the sky and make him a good example, who wanted to make his way, and left behind, he departed from the mercy of God and satisfaction.

Key Words: Genros Prophets, mohmed. Alrasool, mensger, qran

الملخص:

بعث لله عز وجل نبيه وصفيه محمدًا خاتمًا للأنبياء، وإمامًا الأتقياء؛ ليكون هاديًا للعالمين، وهو صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين، والمقام المحمود، وصاحب اللواء المعقود والحوض المورود، زكاه الله جل ثناءه وكرمه جل تكريم، وأدبه فأحسن تأديبه، ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه. قدر الله سبحانه وتعالى سيد البشرية محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم), وجعل له مقاما محمودا في الأرض والسماء، وجعله القدوة الحسنة ,فمن أراد فليسلك طريقه, ومن تخلف فقد ابتعد عن هديه، وسأخص بحثي المتواضع هذا بتكريم الله عز وجل نبيه في القرآن الكريم، وأذكر مظاهر التكريم فيه ومواردها.

الكلمات المفتاحية: تكريم، إكرام، النبي، الرسول، محمد، القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزة والبقاء والرفعة والعلاء والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، والصلاة على نبيه وصفيه محمد خاتم الأنبياء وإمام الاتقياء عدد ذرات الثرى ونجوم السماء صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين، والمقام المحمود، وصاحب اللواء المعقود والحوض المورود زكاه الله جل ثناءه وكرمه جل تكريم، وأدبه فأحسن تأديبه، ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للإقتداء به من أراد تهذيبه.

وبعد فقد وقع اختياري على بحث أبين فيه قدر نبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) وعلوا منزلته، وسمو شرفه عند ربه عن طريق تكريمه وتزكيته لهذا الرسول الكريم قرآنياً.

وقد أحصيت مواضع هذا التكريم فوجدتها تكمن في مظاهر عدة، لعل أهمها: في الخطاب القرآني له دون سائر الأنبياء بصفاته لا بأسمائه، والثناء عليه وذكر محاسن صفاته، وأسلوب القسم الذي انماز به عن سواه من الأنبياء والرسل، واستخلاف الله سبحانه وتعالى أنبياءه مخاطبا إياهم من أجله، وشذرات أخرى من تكريمه دون غيره من الأنبياء. تكلمت عليها وتتبعتها في أربعة مباحث.

المبحث الأول: اختلاف الخطاب القرآني له دون سائر الأنبياء

خاطب الله سبحانه وتعالى الأنبياء بأسمائهم. فقال جل ثناءه ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾[١]، و﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ**﴾[٣] ، وقال: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾[١]، وقال: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي**

(١) سورة الأعراف :١٩.
(٢) سورة هود:٧٦.
(٣) سورة هود:٨١.

اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢]، وقال: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى**﴾[٣] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[٤] بينما نبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) لم يخاطب باسمه مجرداً، وإنما خطب بالنبوة والرسالة، وهما من أهم الأوصاف التي اتصف بها محمد (ص). فقال الله سبحانه **وتعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[٥]، وخاطبه بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ**﴾[٦]، ويا أيها المزمل، ويا أيها المدثر.

وهذا التكريم والتعظيم والتشريف لم يثبت لغيره، فقد جاء عن أبي هريرة أن رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) قال: فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون[٧]

أما الآيات التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيها نبيه الكريم باسمه فإنها جاءت على سبيل الأخبار. كقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾[٨]، وقد ورد اسمه الشريف بلفظ (محمد) في أربعة مواضع في القرآن الكريم. ومما يتعلق بهذه الخصوصية أن الله سبحانه وتعالى نهى عبادة عن نداء محمد باسمه الذي سمي به بقوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾[٩]، فعلمهم في هذه الآية المباركة تفخيم النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) في المخاطبة وأعلمهم فضله على سائر الخلائق.

والمعنى: أي لا تقولوا عند دعائه: يا محمد، أو يا ابن عبد الله، ولكن نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتبجيل والتوقير، وقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، يا حبيب الله في لين وتواضع وخفض الصوت[١٠]. وفي مقابل هذا فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن سائر الأمم السابقة أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبيائهم بأسمائهم. وقد جاء في كتابه الكريم: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[١١]، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[١٢].

المبحث الثاني: الثناء على شخص الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) دون سائر الأنبياء

لقد زكى الباري عز وجل شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). إذ ذكر الله تعالى جملة من الآيات في ذلك منها: قوله تعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾[١٣] ، وهذا الثناء على عقله وعقيدته، وهو جواب القسم أي ما ضل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحق وما حاد عنه وما صار غاويا[١٤].

هذا وقد رُوي عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)) أنه قال: ﴿**وَالنَّجْمِ**﴾ يعني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ﴿**إِذَا هَوَى**﴾ إذ نزل من السماء ليلة المعراج[١٥]، والخطاب لقريش بعنوان الصاحبية إلزامهم وتذكيرهم بوقفهم على تفاصيل أحواله وأحاطتهم خبرا ببراءته مما رموه به من السحر والشعر، والكهانة، أي: أنكم صحبتموه وجربتموه عرفتم ظاهره وباطنه، فما رأيتم منه إلا خيرا وفضلا.

---

(١) سورة يوسف :٢٩.
(٢) سورة الأعراف:١٤٤.
(٣) سورة مريم:٧.
(٤) سورة ال عمران:٥٥.
(٥) سورة المائدة:٦٧.
(٦) سورة الأحزاب:٩.
(٧) صحيح مسلم –مسلم النيسابوري،٦٤/٢ت(٢٦١هـ) د، ط .د.ت دار الفكر –بيروت-لبنان.
(٨) سورة الأحزاب:٤٠
(٩) سورة النور:٦٣.
(١٠) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن –الطبرسي :١٥٨/٧ت(٥٤٨) تحقيق لجنة من العلماء والمحققين والاختصاصين /ط١-١٤١٥هـ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.
(١١) سورة الأعراف :١٣٨.
(١٢) سورة المائدة :١١٢.
(١٣) سورة النجم :٢.
(١٤) عمدة القاري –العيني :١٩٧/١٩،ت.بيروت –أحياء التراث العربي (٨٥٥).
(١٥) صحيح مسلم –مسلم النيسابوري،٦٤/٢ت(٢٦١هـ) د، ط .د.ت دار الفكر –بيروت-لبنان.

وأثنى على لسانه حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[١], ثبت لهذا النص أنه عليه أفضل الصلاة والسلام ما كان يعمل إلا بالوحي النازل عليه. قال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع إلا في موضع الشر، لا يقال: فلان يهوى الخير، أنما يقال: يريد الخير ويحبه، وقال ابن عباس كل هوى ضلاله[٢]، فلسان النبي لا ينطق إلا بوحي السماء وعلمها.

وأثنى على جليسهُ ومعلمهُ جبرائيل (عليه السلام) إذ قال جل ثناءه: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[٣]، أي أن الله تعالى يعلمه بالوحي، وهو ذو القوة المتين[٤]. وأن قواه العلمية والعملية كلها شديدة فيعمل ويعلم. وفي قوله (شديد القوى) فوائد منها أنه سبحانه وتعالى مَدحَ المعلم مَدْح المتعلم، فلو قال :علّمهُ جبرائيل ولم يصفه ما كان يحصل للنبي (صل الله عليه وآله وسلم) فضيلة ظاهرة. وفيها ردا عليهم حيث قالوا أساطير الأولين سمعها وقت سفره إلى الشام. فقال لم يُعلِمهُ أحد من الناس بل معلمه شديد القوى فجمع الله جل ثناءه في جبرائيل (عليه السلام) قوة الحفظ وقوه الأمانة، وقوة العلم. فيصير كقوله تعالى: ﴿**ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾[٥][٦]

وكذلك أثنى الله جل وعلا على بصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قال تعالى: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾[٧]، أي ما مال بصر محمد (صل الله عليه وآله وسلم) يعدل يمينا وشمالا عما رأى، ولا جاوز ما أمر به قطعا في ليلة الإسراء والمعراج، فهو تكريم لشخص الرسول الأعظم (صل الله عليه وآله وسلم) ومن مظاهر التكريم أيضا أثنى سبحانه وتعالى على صدره الشريف بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾[٨] الشرح فتح الشيء بإذهاب ما يصدر عن إدراكه فالله تعالى قد فتح صدر نبيه بإذهاب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق، وتعظيمه بما يجب له. ومنه قول القائل: أشرح صدري لهذا الأمر، وشرح فلان كتاب كذا، ومنه تشريح اللحم أذا فتحه ورفقه.

وقال الجبائي شرح الله صدره بأن فعل له لطفا يسنن منه إلى ما كلفه الله وسهل عليه[٩]. ورفع ذكره. حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[١٠] أي رفعه بما أختص له من النبوة والرسالة، والإسراء والمعراج حيث صعد مكانا لم يبلغه أحد قبله ولا بعده. ورفع ذكره قبل أن يخلقه، فتواترت بذكره الكتب حتى قال: المسيح (ع)عنه: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[١١] وفرض الله سبحانه وتعالى ذكره جل وعلا في شهادة الحق التي هي ركن الإسلام الأول، ولا يؤمن عبد حتى يشهد له بالرسالة. فلو أن رجلا عبد الله ألف سنة وصدق بكل شيء، ولم يشهد أن محمد رسول الله لن ينفعه شيء. وكان كافرا ومن أهل النار. فرفعه في الملأ الأعلى ورفعه في الأرض وفي كل الوجود وجعل اسمه المبارك مقرونا باسم الله جل وعلا كلما تحركت به الشفاه بالقول ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) ويذكره (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذكر الله يعصم الدم والمال والعرض ويحل الأمن ويزول الخوف.

وقال الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[١٢]. ((أي قرنّا ذكرك بذكرنا، حتى أُذكر ألا وتذكر))[١٣] ورفع الذكر إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس وقد فعل سبحانه به ذلك فاسمه قرين اسم ربه. فعلى كل مسلم أن يذكره مع ربه كل يوم في الصلوات الخمس[١٤].

---

(١) سورة النجم:٣-٤.
(٢) ظ: تفسير الرازي-الرازي-٦٣/١٢،ت(٦٠٦هـ).
(٣) سورة النجم :٥.
(٤) ظ: تفسير السمرقندي –السمر قندي :٣٢٩/٣،ت(٣٨٣) تحقيق، د. محمود مطرجي، بيروت دار الفكر.
(٥) سورة التكوير :٢٠-٢١.
(٦) ظ: تفسير الرازي –الرازي :٢٨٤/٢٨.
(٧) سورة النجم:١٧.
(٨) سورة الشرح :الآية ١.
(٩) ظ: التبيان – الطبرسي :٣٧١/١٠ت(٤٦٠هـ) تحقيق احمد حبيب،ط١،١٤٠٩،مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.
(١٠) سورة الشرح :الآية ٤.
(١١) سورة الصف: ٦.
(١٢) سورة الشرح: الآية ٤.
(١٣) مجمع البيان :٣٨٩/١٠،د.ط ١٤١٥هـ -١٩٩٥م- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .بيروت – لبنان.
(١٤) ظ: تفسير الميزان – الطباطبائي :٣١٥/٢٠، ت(١٤١٢هـ) د. ط. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم المقدسة.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة يذكر فيها (صل الله عليه وآله وسلم) بعد ذكر الله سبحانه وتعالى: منها: قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾[٣] ، وقوله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[٤]، فما أرفع هذا التكريم والمقام. وكل هذا كان دون سؤال النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ومن مظاهر تكريمه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وصفه باسمين من أسمائه جل ثناءه ((رؤوف، رحيم))، جاء في قوله تعالى: ﴿**بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [٥]، وبحق الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[٦]، فقيل: هما واحد، والرؤف شدة الرحمة، رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين، رؤف بأقربائه رحيم بأصحابه رؤوف بعترته رحيم بأمته رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره [٧].

وكرمه الله سبحانه بأن حفظه في كل وقت فقال جل ثناءه: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[٨]، أي بمرأى منا ندركك ولا يخفى علينا شيء من أمرك وهي غاية الاعتناء بالحفظ، حيث جاءت بصيغة الجمع للمبالغة بالحفظ[٩].

وقال الرازي في تفسير هذا النص ﴿**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾، قال: وقد ظهر تعلق الباء هنا ﴿**بِأَعْيُنِنَا**﴾ من جميع الوجوه. إن قلنا بأنه للحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا، وان قلنا للعلم فمعناه بمرأى من أي بمكان نراك، وتقديره فإنك بأعيننا مرئي كقول القائل رأيته بعيني[١٠]. وحينما يرى الإنسان ويحس بأن قادرا كبيرا ينظره ويرى جميع سعيه وعمله ويحميه من أعدائه يمنحه الطاقة والقوة أكثر ويكون إحساسه بالمسؤولية أوسع[١١]

وهذا أسمى تكريم من الباري عز وجل. ومصداق ذلك جاء عن أبي هريرة عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) قوله: ((إذا أحب الله العبد نادى جبرائيل أن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبرائيل فينادي جبرائيل في أهل السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القول في الأرض))[١٢].

وأثنى الله سبحانه وتعالى – على أخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)حيث أثنى الباري عز وجل على أنبيائه السابقين بما فيهم من أخلاق كريمة كان يذكر لكل نبي صفات محدده. فقال سبحانه عن خليله إبراهيم (عليه السلام): ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾[١٣]، وقال سبحانه وتعالى عن إسماعيل(عليه السلام): ﴿**إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾[١٤]، وكذلك قال عن موسى (عليه السلام): ﴿**إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾[١٥]، وعن نبي الله أيوب (عليه السلام): ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[١٦] وحينما تكلم عن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فقد حاز الكمالات كلها فقال عنه سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١٧].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣.
(٢) سورة النساء: الآية ١٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٠.
(٤) سورة المائدة : الآية ٥٦.
(٥) سورة النحل : الآية ٤٧.
(٦) سورة التوبة : الآية ١٢٨.
(٧) مناقب ال أبي طالب –ابن شهر آشوب ١٩٧/١،تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف -١٣٧٦هـ-١٩٥٦م-الحيدرية النجف.
(٨) سورة الطور /الآية ٤٨.
(٩) ظ: تفسير أبي السعود – أبي السعود :١٥٣/٨.د.ط،دار أحياء التراث العربي/مجمع البيان – الطبرسي: ٢٨١/٩.
(١٠) ظ. تفسير الرازي /الرازي :٢٧٤/٢٨.ت(٦٠٦). التراث العربي/مجمع البيان – الطبرسي: ٢٨١/٩.
(١١) ظ. الأمثل في كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي :١٩٤/١٧.
(١٢) صحيح البخاري /البخاري :٧٩/٤.ت(٢٥٦هـ) د.ط،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م/دار الفكر للطباعة والنشر .
(١٣) سورة هود: الآية ٧٥.
(١٤) سورة مريم: الآية ٥٤.
(١٥) سورة مريم: الآية ٥١.
(١٦) سورة ص: الآية ٤٤.
(١٧) سورة القلم: الآية ٤.

جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: إنك لعلى خلق عظيم[١] فأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم)لا نظير لها في سموها وعظمتها وصفائها ولطفها، وصبرها واستقامتها، فقد جسد كل مبادئ الخير. ومصداق ذلك ما جاء عن معمر عن قتادة قال: سألت عائشة فقلت يا أم المؤمنين اخبريني عن خلق رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم)، فقالت: أتقرأ القرآن ؟ فقلت: نعم، فقالت: إن خلق رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) كان القرآن[٢]. وكذلك جاء عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال (خدمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عشر سنين، والله ما قال لي قط ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا)[٣].

جاء عن أبي عتبة عن أبي سعيد قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد حياء من عذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه[٤].

المبحث الثالث:

أولاً: القسم بعمره الشريف

أقسم الله جل شأنه بحياة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) بقوله تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[٥] في تفسير هذا النص قولان أو ثلاثة أقوال، أحدهما عن ابن عباس رواه أبو الجوزاء أنه قسم بحياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[٦]، وقال الرازي: أن الخطاب لرسول الله محمد (صل الله عليه وآله وسلم) وأنه تعالى أقسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد.

وهذا يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى[٧] ذكر ابن شهر آشوب: أن الله سبحانه وتعالى أقسم لأجل نبينا محمد (صل الله عليه وآله وسلم) بخمسة عشر قسما بهدايته ورسالته وبولي عهده ومعراجه وشريعته وبكتابه وبخلقه وبخُلقِه، وبزيادة نوافله وطهارته وبلده وبمحبته ، وبتهديد مؤذيه، وعقوبة أعدائه وبعمره.

وقال ومن شدة فرط المحبة أن يخلق بعمر حبيبه[٨] والعمر في لغة يعني الحياة، يقال طال عَمْره وطال عُمُره لغتان فصيحتان: فإذا أقسموا قالوا لعَمِرك بفتح العين لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسم بـ(لعمَري ولعمَرك) فالتزموا الأخف[٩].

ثانياً: وجوب توقيره

لم يكتفِ القرآن الكريم بوجوب طاعة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ومحبته بل أوجب أيضاً التزام توقيره، وتعظيمه، ويكفي في ذلك قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[١٠].

جاء هذا النص ليضع تعليمات وضوابط أخلاقية تجب على المسلمين. ومن هذه الضوابط، عدم التقدم بين الله ورسوله، وإن مسؤولية انضباط السائرين إزاء القادة وخاصة إزاء القادة الإلهيين تقتضي ألا يتقدموا عليهم في أي عمل وقول، ولا يعجل أحد عندهم. بل يترك الأمر للرسول نفسه. وهذا غاية الأدب الجميل في الاتباع والاقتفاء وعند مخاطبته وتكليمه (صل الله عليه وآله وسلم) تكون أصواتكم أرفع من صوته وأجهر لأن في ذلك أحد شيئين:

(١) الكافي /الكليني /٢٦٦/١،ت(٣٢٩هـ) تحقيق ،علي أكبر الغفاري ط١٣٦٣/٥ش،المطبعة حيدري ،الناشر دار الكتب الإسلامية –طهران .
(٢) صحيح مسلم – مسلم النيسابوري ،١٦٩/٢ت(٢٦١هـ) دار الفكر بيروت
(٣) المصدر نفسه :٧٣/٧.
(٤) مسند احمد /احمد بن حنبل :٨٨/٣،ت(٢٤١هـ)،دار صادر بيروت –لبنان.
(٥) سورة الحجر /الآية ٧٢.
(٦) ظ. زاد المسير –ابن الجوزي :٢٩٨/٤،ت(٥٩٧هـ) تحقيق .محمد بن عبد الرحمن ،ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،دار الفكر للطباعة والنشر.
(٧) ظ. تفسير الرازي /الرازي :٢٠٣/١٩.
(٨) مناقب ال أبي طالب :١٩٥/١.
(٩) ظ. مجمع البيان –الطبرسي :١٢٣/٦ت(٥٤٨هـ).
(١٠) سورة الحجرات: الآية ١-٢.

إما استخفاف به وهو الكافر – وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه، وهذا خلاف التعظيم والتوقير المأمور به. فلا تقولوا لهُ: يا محمد كما يخاطب بعضكم بعض، بل خاطبوه بالتبجيل فقولوا: يا رسول الله ﴿**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ**﴾ أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم[١].

المبحث الرابع/ استحلاف الله سبحانه وتعالى أنبياءه مخاطبا إياهم من أجله ،وشذرات أخرى من تكريمه دون غيره من الأنبياء (عليهم السلام)

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ**﴾[٢] عن أمير المؤمنين (عليه السلام) علي ابن أبي طالب: أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته ويبشرهم به ويأمروهم بتصديقه، وعنه (عليه السلام) أنه قال: لم يبعث الله نبينا آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد لئن يبعث محمد (صل الله عليه وآله وسلم)، وهو حي ليؤمنن به وينصرنه وأمره بأن يأخذا العهد بذلك على قومه[٣]. وهذا التكريم الفريد هو لسموّ شخص الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)لا قبله ولا بعده إلى يوم يبعثون. ومن صور التكريم الأخرى: أن الله جل ثناءه بعثه رحمة للعالمين. بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٤] فالرحمة صفة لازمة له، فهي عنوانه وسمته الذي يعرف به، فقلوب الناس تهواه وتحبه؛ لأنه بعث بالرحمة والعطف واللين والحنان، وأنه مرسل لجميع العالمين مؤمنهم وكفارهم.

قال ابن عباس (رضي الله عنه): رحمة للبرِ والفاجر، والمؤمن والكافر، فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة، ورحمة للكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والمسخ[٥] والتعبير ب(العالمين) له إطار واسع يشمل جميع البشر وعلى امتداد الإعصار والقرون، وهذه أشارة إلى خاتمية نبي الإسلام؛ لأن وجوده رحمة وإمام لكل البشر إلى نهاية الدنيا. وأن هذه الرحمة تشمل الملائكة أيضا. ومصداق ذلك ما ذكره صاحب الشقاء أن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) قال لجبريل (عليه السلام):هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى عليَّ في القرآن بقوله سبحانه: ﴿**ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ**﴾[٦][٧] ومن تكريمه أيضا، طلب الاستغفار للنبي محمد صل الله عليه وآله وسلم وطلب من المؤمنين بأن يلهجوا بالدعاء له أسوة بأهل السماء بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٨].

سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية فقال: الصلاة من الله عز وجل رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء[٩]، ومن مظاهر تكريمه (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل محبته وولايته في قلوب المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾[١٠] فالنبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وهو مطلق غير مقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه نافذ عليهم أنفذ من أنفسهم وحقه أوجب عندهم من حقوقهم، وشفقتهم عليه أكثر من شفقتهم عليها وان يبذلوا أنفسهم دونه ويجعلوها فداء له [١١]

(١) مجمع البيان –الطبرسي :٩/ ٢١٤، ت(٥٤٨) تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، ط١، ١٤١٥-١٩٩٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان+ تفسير الميزان- الطباطبائي: ٣٠٤/١٨+ الامثل- ناصر مكارم الشيرازي: ١٦/ ٥١١.
(٢) سورة آل عمران :الآية ٨١.
(٣) ظ. التفسير الصافي – الفيض الكاشاني :٣٥١/١،ت(١٠٩١هـ)ط١٤١٦/٢هـ-١٣٧٤ش، مؤسسة الهادي /قم المقدسة.
(٤) سورة الأنبياء :الآية ١٠٧.
(٥) ظ. مجمع البيان /الطبرسي :١٢١/٧.
(٦) سورة التكوير :الآية ٢٠.
(٧) نقلا عن تفسير الآلوسي /الآلوسي :١٠٥/١٧،ت(١٢٧٠هـ).
(٨) سورة الأحزاب :الآية ٥٦.
(٩) وسائل الشيعة (أل البيت)الحر العاملي :١٩٦/٧،ت(١١٠٤هـ)ط٢، ١٤١٤هـ، مهر– قم.
(١٠) سورة الأحزاب :الآية ٦.
(١١) جوامع الجامع – الطبرسي :٤٩/٣.

ومن تكريمه (صل الله عليه وآله وسلم) أعطاه الكوثر وأنعم عليه بالحوض في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[١]، وهو الخير في جميع الأحوال، ففي الدنيا شرف الرسالة وزعامة المسلمين وهداية الخلق، والنصر على الأعداء، وكثرة الأنصار، وكثرة الذرية من بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي توجب بقاء اسمه ما دام الوجود، وفي الآخرة الشفاعة الكبرى له، والجنان العالية، والحوض الذي لا يشرب منه إلا هو وأولياؤه إلى غير ذلك من نعم الله عليه[٢].

ومن مظاهر التكريم الرائعة التي خص الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمد (صل الله عليه وآله وسلم) جعل بيته أطهر وأشرف بيت بقوله تعالى: ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٣] جاء من أسباب نزول الآيات[٤] عن أبي سعيد الخدري – أن هذه الآية نزلت في خمسة، في النبي (صل الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فهؤلاء أهل بيته الطاهرون المطهرون من الذنوب، لهم الدرجات العلى إنعاما وتبجيلا وتعزيزا، وتزيدهم رفعه وتمكينا وسعادة ونصرة ونصيرا، وكرم الباري عز وجل نبيه الكريم محمد (صل الله عليه وآله وسلم) بأن حرم على المسلمين زوجاته، وجعل أمته وسط خيارا عدلا شهودا على الأمم السابقة وجعله (صل الله عليه وآله وسلم) شهيدا على هذه الأمة وعصمه من الناس.

الخاتمة

أشار العلماء إلى أن خصال الكمال والجلال إذا وقعت منها واحد أو اثنان لشخص ما أعظم قدرة، وضربت باسمه الأمثال، فيقال أحلم من الأحنف ، وأكرم من حاتم، وأذكى من إياس .....الخ فكيف بمنّ عظم قدره حتى اجتمعت فيه كل هذه الخصال من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة، والمحبة والاصطفاء والأسرة والقرب والدنو، والوحي والشفاعة، والوسيلة والفضيلة والبراق والمعراج والصلاة بالأنبياء وسيادة ولد آدم والرحمة للعالمين وصلاة الله والملائكة عليه، والعصمة من الناس، إضافة إلى ما أعد الله في الدار الآخرة من منازل الكرامة، وخير ما أختم به هذا البحث.

عن أبي هريرة أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم سأل جبرائيل (عيه السلام) فقال: يا جبرائيل كم عمرك من السنين؟ فقال: يا رسول الله لست أعلم ،غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنتين وسبعين ألف مرة فقال: (صل الله عليه وآله وسلم) يا جبرائيل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب[٥].

(١) سورة الكوثر :الآية ١-٢.
(٢) البيان في تفسير القرآن –السيد الخوئي .ص٩٩/ت(١٤١١هـ) ط٤ ،١٣٩٥هـ/١٩٧٥م،دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –لبنان.
(٣) سورة الأحزاب :الآية ٣٣.
(٤) الواحدي :ص٢٣٩/ت(٤٦٨هـ)د.ط،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، مؤسسة الحلبي –القاهرة.
(٥) السيرة الحلبية –الحلبي:٤٩/١،ت(١٠٤٤هـ)د.ط،١٤٠٠هـ/بيروت – دار المعرفة.

المصادر

بعد القرآن الكريم

- أسباب نزول الآيات– الواحدي، ت(٤٦٨هـ) د.ط،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، مؤسسة الحلبي القاهرة.
- الأمثل في كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي، د. ط، د.ت الناشر مؤسسة سيد الشهداء.
- البيان في تفسير القرآن – الخوئي، ت(١٤١١هـ) ط٤، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، دار الزهراء، بيروت.
- التبيان الطوسي، ت(٤٦٠هـ) تحقيق احمد حبيب، ط١/١٤٠٩هـ– مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.
- تفسير أبي السعود – أبي السعود .د.ط، دار أحياء التراث العربي.
- تفسير الآلوسي – الآلوسي، ت(١٢٧٠هـ) د.ط.د.ت.
- تفسير الرازي – الرازي، ت(٦٠٦هـ) د.ط.د.ت.
- تفسير السمر قندي – السمر قندي، ت(٣٨٣هـ) تحقيق د. محمود مطرجي – دار الفكر، بيروت.
- التفسير الصافي – الفيض الكاشاني، ت(١٠٩١هـ) ط٢/ ١٤١٦هـ/ ١٣٧٤ش، مؤسسة الهادي، قم.
- تفسير الميزان – الطباطبائي، ت(١٤١٢هـ) د.ط، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- جامع الجوامع – الطبرسي .د. ط .د.ت.
- زاد المسير – ابن الجوزي ،ت(٥٩٧هـ) تحقيق محمد بن عبد الرحمن، ط١،١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م، دار الفكر.
- السيرة الحلبية – الحلبي، ت(١٠٤٤هـ) د.ط،١٤٠٠هـ، بيروت، دار المعرفة.
- صحيح البخاري – البخاري، ت(٢٥٦هـ) د.ط، ١٤٠١هـ /١٩٨١م– دار الفكر، بيروت.
- صحيح مسلم – مسلم النيسابوري، ت(٢٦١هـ) د. ط .د.ت، دار الفكر، بيروت.
- عمدة القاري – العيني، ت(٨٥٥هـ) دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- الكافي– الكليني، ت(٣٢٩هـ) تحقيق علي أكبر الغفاري، ط١٣٦٣،٥ش– المطبعة الحيدرية، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- مجمع البيان – الطبرسي، ت(٥٤٨هـ) تحقيق لجنة من العلماء والمحققين والاقتصاديين، ط١ ١٤١٥هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- مسند احمد – احمد بن حنبل، ت(٢٤١هـ) دار صادر، بيروت.
- مناقب آل أبي طالب – ابن شهر أشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف ،١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، المطبعة الحيدرية، النجف.
- وسائل الشيعة (أل البيت) الحر العاملي، ت(١١٠٤هـ) ط٢، ١٤١٤هـ/مهر – قم.